أصول التداولية في التفكير البلاغي عند العرب

د/بلخير ارفيس
جامعة المسيلة

مقدمة

لقد صادف الدرس الغوي الحديث منذ نشأته العديد من الإشكالات المعرفية التي أثبت أمرين:الأول قصور النظرية المقدمة وعدم قدرتها على فهم اللغة.

الثانية :ضرورة البحث عن الآليات الكفيلة بمحاصرة المعنى وتحديد الدلالة.

ولهذا، فقد مر الدرس اللغوي الحديث في مسيرته للبحث عن اللغة وعن فهمها بمراحل ثلاثة تشكل كل مرحلة ضلعا من أضلاع مثلث، قد يتحول في أي وقت ما إلى مربع أو خماسي أو غيرها.

لقد أبانت الدراسات اللغوية في اهتمامها بالدال وبنيته عن قصور فضيع في فهم العملية اللغوية ،بل حتى لما تم استدعاؤها للاشتغال على الأعمال النقدية في المرحلة البنيوية وجدت نفسها عوضا أن تبحث عن الدلالة وإفصاحها غارقة في البنية وحدودها؛ وهو ما جعل أغلب الدارسين والنقاد يتهمونها بالعقم؛ ففهم اللغة وإضاءة النص لا يمكن أن يتأتيا من خلال الهياكل الجامدة والقوالب الراكدة

لقد أدت الانتفاضة على الدال إلى الاهتمام بالمدلول، بل جعله بؤرة الدراسة.وكان لعلم العلامات دور كبير؛ حيث ركز على المدلول وما يمكن أن يؤول إليه،ولما تم استدعاؤه إلى الدرس النقدي أصبحنا نتكلم عن لا نهائية المعنى ،وأصبحت كل قراءة إساءة قراءة.ورغم تطرفه هذا، إلا أنه لم يستطع تفسير بعض الأفعال اللغوية. فمثلا عندما يقول الأستاذ :الجو حار .يقوم أحد الطلبة بفتح النافذة. فما علاقة قول الأستاذ بسلوك الطالب؟

لقد أدت الإشكالية السابقة إلى طرح العديد من التساؤلات حول ماهية اللغة والكيفية الحقيقية لإدراكها،وبصورة عاجلة تم اقتراح الاعتماد على أغراض المتكلم ومقصديته .وهو ما يعرف في الدرس اللغوي الحديث بالبعد التداولي في دراسة اللغة

إن الأخذ بمقصدية المتكلم من أجل فهم العملية اللغوية،لم يكن إبداعا على الإطلاق فهو في حقيقة الأمر يمثل مرحلة من مراحل دراسة اللغة في العالم الغربي، بيد أنه في التراث العربي واضح وجلي، بل لقد استفاض الدارسون العرب في دراسة هكذا قضايا لفهم لغتهم وتفسير

تراثهم،بل إن جل ما يطرحه الدارسون الغربيون ليجد له الأثر المباشر في التراث العربي وإنما الاختلاف في كيفية الطرح أو الترجمة فقط

ولهذا فإن هذه المداخلة ستحاول الإجابة على الإشكالية التالية:إلى أي مدى يمكن الكشف عن جذور التداولية وآلياتها في الدرس البلاغي عند العرب،؟ما حدود التطابق وما أبعاد الاختلاف؟

ومحاصرةً لهذه الإشكالية، ستكون محاور هذه المداخلة كالآتي:

المحور الأول:تأصيل مفاهيم التداولية بين العرب والغرب

المحور الثاني:آليات التداولية بين اوستن وغرايس

المحور الثالث:تأصيل بعض مباحث التداولية في الدرس البلاغي عند العرب.

المحور الأول: تأصيل مفاهيم التداولية بين العرب والغرب

لغة:أ-**عند العرب**:أصل الكلمة مشتق من المادة اللغوية"دول"،وقد ورد في معجم مقاييس اللغة أنها تدل على شيئين:"أحدهما يدل على تحول الشيء من مكان إلى آخر،والآخر يدل على ضعف واسترخاء،فقال أهل اللغة:اندال القوم؛إذا تحولوا من مكان إلى آخر.ومن هذا الباب،تداول القوم الشيء بينهم:إذا صار من بعضهم إلى بعض.والدولة والدولة لغتان.ويقال:بل الدولة في المال،والدولة في الحرب،وإنما سميا بذلك من قياس الباب،لأنه أمر يتداولونه، فيتحول من هذا على ذاك،ومن ذاك إلى هذا"[1]

وجاء في أساس البلاغة :"دالت له الدولة،ودالت الأيام بكذا،وأدال الله بني فلان من عدوهم:جعل الكثرة لهم عليه،والله يداول الأيام بين الناس مرة لهم ومرة عليهم.ويقال:الدهر دول وعقب ونوب.وتداولوا الشيء بينهم،أي مرة لهذا ومرة لذلك،والماشي يداول بين قدميه؛أي يراوح بينهما"[2]

جاء في لسان العرب":تداولنا الأمر؛أخذناه بالدول وقالوا دواليك ؛أي مداولة على الأمر...ودالت الأيام ؛أي دارت.والله يداولها بين الناس،وتداولته الأيدي:أخته هذه مرة وهذه مرة،وتداولنا العمل والأمر بيننا ،بمعنى تعاوناه فعمل هذا مرة وهذا مرة"[3]

وقد ورد أصل هذا المصطلح في القرآن الكريم، ومنه قوله تعالى:" وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ "[4]

ومعناها:"تداولها:نصرفها بين الناس،نديل تارة لهؤلاء ،وتارة لهؤلاء،كقوله وهو من أبيات الكتاب

فيوما علينا ويوم لنا ويوما نساء ويوما نسر"[5]

وإذا نظرنا إلى صيغة التداولية وجدناها على صيغة تفاعلية،من صيغة تفاعل، التي تدل على المشاركة، وهو ما تحمله لفظة التداولية؛إذ إن هناك إجماعا على أن معناها التحول،والتنقل من جهة إلى أخرى، متطلبا في الوقت ذاته على الأقل طرفين كي يحدث بينهما التفاعل وتتم بينهما المشاركة.وهو"حال اللغة متحولة من حال لدى المتكلم إلى حال أخرى لدى السامع،ومتنقلة بين الناس،يتداولونها بينهم،ولذلك كان مصطلح "تداولية أكثر ثبوتا بهذه الدلالة من المصطلحات الأخرى:الذرائعية،النفعية،السياقية"[6]

ب-عند الغرب:

إن أصل مصطلح pragmatique في اللاتينية pragmaticus وفي الإغريقية pragmaticos، وإنهما ليشتركان في الأصل pragma والتي تعني الفعل،ثم أصبحت بفعل اللاحقة تطلق على كل ما هو عملي أو واقعي[7]

"وتنسب الموسوعة البريطانية أول استعمال لها إلى المؤرخ الإغريقي بولبيوس(118 ق م) وقد أطلق هذه التسمية على كتاباته التي تعني آنذاك تعميم الفائدة العملية ولتكون منبرا تعليميا،ومنها اشتقت اللغة الإنجليزية جميع المفردات التي ترتبط بكلمة" practice" وأهمها:practicalالتي من رحمها ولدت ما يسمى بالفلسفة الذرائعية أو البراغماتية pragmatismالتي ذاع صيتها في القرن 19 وبشكل خاص في أمريكا"[8].

وقد وضع الدارسون العرب عدة ترجمات لها منها:النفعية،الذرائعية،التخاطب،والتداولية وهذا الأخير هو الأكثر انتشارا،وقد وضعه طه عبدالرحمان حيث يقول:"وقد وقع اختيارنا من 1970 على مصطلح التداوليات مقابلا للمصطلح الغربي"براغماتيقا"لأنه يوفي المطلوب حقه،باعتبار دلالته على معنيين :الاستعمال والتفاعل معا،ولقي من ذلك الحين قبولا من لدن الدارسين الذين أخذوا يدرجونه في أبحاثهم"[9]

غير أننا نلحظ أن ترجمته هذه قد نزعت لتقريب المفهومين معجميا ونأت بنفسها عن تحديده موضوعاتيا؛فالتداول وإن نزع إلى التفاعل والاستعمال ،فإنه لا ينزع إلى اللغة وحدها؛فالتفاعل والمشاركة يتجاوز اللغة إلى أشياء أخرى كالمناصب والوظائف والأعمال

ولهذا؛نجد أن احد الباحثين ينتقد هذه الترجمة ،فيقول:أفضل ترجمة مصطلح(pragmaticus) بعلم التخاطب،وليس بالتداولية ، أوالنفعية،أو الذرائعية كما يفعل عدد من اللسانيين العرب توهما منهم بأن(pragmaticus)و(pragmatism)شيء

واحد،والواقع أن المصطلح الأول يطلق على الدراسات التي تعنى بالمعنى في السياقات الفعلية للكلام،وهم ما يتفق مع معناها الحرفي،وهو علم الاستعمال.وإذا نظرنا إلى تراثنا البلاغي والأصولي فسنلحظ أن الاستعمال –الذي يقابل الوضع عادة–يطلق على النشاط الذي يقوم به المتكلم في عملية التخاطب؛ولذا فإن ترجمة (pragmatics) بعلم التخاطب أنسب في رأيي من الخيارات التي اطلعت إليها حتى الآن، أما(pragmatism)فهي مدرسة فلسفية ظهرت في أمريكا تذهب إلى أن الفكرة النظرية لا تجدي نفعا مالم تكن لها تطبيقات عملية.وعلى الرغم من صلة منهجية بين المجالين والمصطلحين تكمن في التقليل من شأن المجرد والعناية بما هو عملي وسياقي ومحقق فعلا،فإن اهتمام الحقل المسمى (pragmatism)يقتصر على اللغة خاصة،في حين يعنى الحقل الآخر بالفلسفة،وإن امتدت آثاره في السياسة وعلم الاجتماع وغيرها"[10]

ونجد أن ما يطرحه هذا الباحث هو الأقرب تقبلا في الأوساط الطلابية والباحثين،وهو ما يثبته الواقع الميداني،ونحن نرى في هذا المضمار أن استعمال علم الخطاب أو التخاطبية أقرب بكثير إلى فهم المتلقين لجذور هذا العلم وما يتبناه،وهو ما يمكنهم من تقبله أولا، ثم التأصيل له في تراثنا العربي ثانيا والمساهمة فيه بإثرائه أو اتخاذ موقف منه في الأخير،خصوصا وأن الساحة المعرفية في مجال النقد واللغة قد عرفت انفجارا ضخما هز أركان العديد من المصطلحات وأبدلها أثوابا تنزع بها إلى الحداثة وما بعدها أكثر من نزعتها إلى تراثها.

كما أن البراغماتية في جانبها الفلسفي"فأحسن ترجمة لها هي النفعية أكثر من الذرائعية وهو ما هو متداول حتى في الحياة اليومية حيث نقول براجماتي أو نفعي أما إذا قلنا: ذرائعي فإن هذا المصطلح لن يفهمه إلا الخاصة من ذوي الاختصاص أو المهتمين بشؤون الفكر والفلسفة.

جـ:اصطلاحا:يعود استعمال التداولية إلى الفيلسوف الأمريكي شارلز موريس charles moris عام 1938؛حيث وزع الرسوم اللغوية حسب المخطط التالي:الجانب النحويsyntaxويعنى بعلاقة الرموز اللغوية ببعضها البعض،الجانب الدلايsemanticsويعنى بالرموز اللغوية وعلاقتها بالأشياء التي تدل عليها،والجانب البراغماتي pragmaticsويعنى بعلاقة الرموز اللغوية بالمتلقي،وبالظواهر النفسية والحياتية والاجتماعية المرافقة لاستعمال هذه الرموز وتوظيفها"[11]

وبصنيعه هذا،يكون شارلز موريس قد جعل التداولية جزءا من علم العلامات؛فهي في نظره "تعالج العلاقة بين العلامات ومستعمليها"[12]

لقد أخرج شارلز موريس البحث اللساني من بوتقة البنية الجامدة عند البنيويين،والمتكلم المثالي عند التحويليين؛كونهما قد عجزا عن تفسير اللغة،خصوصا ما تعلق منها بالآداء الفردي وما يتعلق به توجه كلامه وتحديد مقصوده، فجعل الاستعمال المعيار الوحيد القادر على فهم اللغة،وهذا الاستعمال خاضع في ذاته للعديد من الظوابط التخاطبية والنفسية والاجتماعية ،أو ما يعرف بصورة مختصرة بالسياق.

إن أغلب التعريفات التي اطلعنا عليها في هذا المضمار لا تخرج عن الإطار العام الذي تبناه موريس، ولكنها تنزع على الأقل إلى الشرح أو التحليل أو التفصيل،وهو ما يسهل من عملية استيعاب هذا العلم ونشره، ويمكننا أن نذكر في ها المقام ما يلي:

يعرف بيل التداولية بقوله:"دراسة الارتباط الضروري لعملية التواصل في اللغة الطبيعية بالمتكلم والسامع بالمقام اللغوي وبالمقام غير اللغوي وارتباطها بوجود معرفة أساسية وبسرعة استحضار تلك المعرفة"[13]

وهذا التعريف في حقيقته تفصيل لما طرحه موريس

وعرفها آخر بقوله"الدراسة التي تعنى باستعمال اللغة،وتهتم بقضية التلاؤم بين التعابير الرمزية والسياقات المرجعية"[14]

والجديد في هذا التعريف هو استحضاره التعابير الرمزية لقضايا المجاز وإمكانية تحديدها في العملية التواصلية.

ويرى آخرأن التداولية تختص"بدراسة المعنى كما يوصله المتكلم أو الكاتب ويفسره المستمع أو القارئ ؛لا فإنها مرتبطة بتحليل ما يعنيه الناس بألفاظهم أكثر من ارتباطها بما يمكن أن تعنيه كلمات أو عبارات هذه الألفاظ منفصلة،التداولية هي دراسة المعنى الذي يقصده المتكلم،التداولية هي دراسة المعنى السياقي...التداولية هي دراسة كيفية إيصال أكثر مما يقال"[15]

وهناك تعريف يدخل في تفصيله حد رحم العملية التواصلية فيقول:"التداولية محاولة للإجابة عن أسئلة كالتالي:ماذا نصنع حين نتكلم؟ماذا نقول بالضبط حين نتكلم؟لماذا نطلب من جارنا حول المائدة أن يمدنا بكذا،بينما يظهر واضحا أن في إمكانه ذلك؟فمن يتكلم إذن؟وإلى

من يتكلم؟من يتكلم ومع من؟من يتكلم ولأجل من ؟كيف يمكننا قول شيء آخر غير ما كنا نريد قوله؟"[16]

ولقد استفاد الدارسون العرب فبنوا لأنفسهم تعريفات استقوها مما قدمه غيرهم، فنجد مثلا مسعود صحراوي يعرفها بقوله:"علم جديد للتواصل،يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال،ويدمج من ثم مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة التواصل اللغوي وتفسيره"[17]

لقد اقتبس مسعود صحراوي هذا التعريف مما ذكره فرانسيس جاكF.Jacque حين يقول:"التداولية تتطرق إلى اللغة كظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية معا"[18]

وإذا قمنا بتفكيك هذا التعريف نجد ما يلي:

أن اللغة كظاهرة خطابية: تعني دراسة منشئ الخطاب انطلاقا من معتقداته ومقاصده وشخصيته وتكوينه الثقافي ومن يشاركه ي العملية التخاطبية.

وكونها تواصلية : يقتضي الإلمام بالوقائع الخارجية،ومن بينها الظروف الزمانية والمكانية.

وكونها اجتماعية: يقتضي دراسة الظواهر الاجتماعية المرتبطة باللغة .

انطلاقا مما سبق،نجد أن دراسة اللغة تداوليا يعني الاستعانة بترسانة من العلوم: كاللسانيات، النحو النحو الوظيفي،علم الدلالة،اللسانيات النفسية، اللسانيات الاجتماعية،اللسانيات النصية وتحليل الخطاب:

علاقتها باللسانيات التعليمية

إن هذه المفاهيم تشترك جميعا لتشكل إحدى لبنات الدرس البلاغي القديم فقط، كون هذا الأخير قد تجاوز هذه المفاهيم إلى حدود التكلم عن قضايا أعمق من الاتصال والفهم والإفهام.

وحتى لا نغرق الدرس اللغوي الحديث بمفاهيم الدرس اللغوي القديم يمكننا أن نوجز بعض التعريفات التي قدمت للبلاغة العربية،ونرى مدى احتوائها مثل هذه المفاهيم

-تعريف عمرو بن عبيد(144هـ) بقوله "تخير اللفظ في حسن الإفهام"[19]

يشير هذا التعريف إلى أمرين: الأول اختيار اللفظ،والثاني الإفهام ،وهما أمران مترابطان ،بل ينبغي أن يخضع فيهما الأمر الأول للثاني.

وإذا أخذنا بميزان هذا التعريف كان علينا أن نصنف الكلام البليغ وفق مستويين:

المستوى الأول متعلق بالسامع ومدى فهمه لكلام المتكلم.

المستوى الثاني متعلق بالمتكلم ومدى اختياره الألفاظ التي تؤدي غايته في عملية الإفهام تلك.

ويمكن توضيح ذلك بالشكل الآتي:

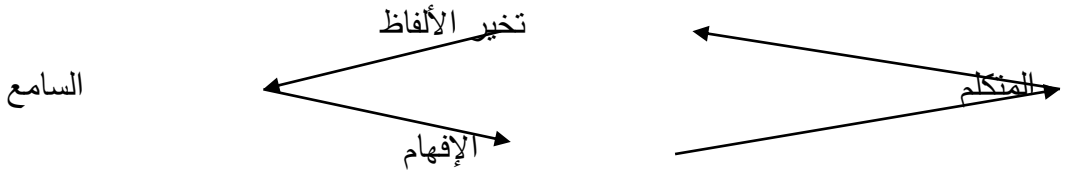

وإذا تحقق هذان الشرطان كنا قد حكمنا عن الكلام وفق هذا التعريف بأنه كلام بليغ.

2- تعريف ابن المقفع حيث يقول:"البلاغة اسم لمعان تجري في أمور كثيرة،فمنها ما يكون في السكوت ومنها ما يكون في الاستماع ومنها ما يكون في الاحتجاج ومنها ما يكون جوابا ومنها ما يكون ابتداء ومنها ما يكون شعرا ومنها ما يكون سجعا ومنها ما يكون خطبا ومنها ما يكون رسائل،فعامة ما يكون من هذه الأبواب الوحي فيها والإشارة إلى المعنى والإيجاز هو البلاغة"[20]

لو حاولنا أن نمحص هذا التعريف فإننا سنجد الآتي:

البلاغة في السكوت:وهنا يتبادر إلى الذهن أننا نتكلم عن بلاغة الكلام فكيف يمكن للسكوت أن يكون بلاغة؟

والإجابة على هذا الأمر بسيطة،فالمقصود بالسكوت ليس معناه أن يكون الإنسان صائما عن الكلام ونطلق عليه في الأخير أنه بليغ،بل المقصود بالسكوت أثناء عملية الكلام في لحظات معينة يفرضها سياق الكلام،ولهذا قالت العرب "السكوت عن الأحمق جوابه" كما أن "السكوت علامة الرضا".

أما بلاغة الاستماع فمعنى هذا أن يختار اللحظات التي يتطلبها الاستماع،فيفهم المعنى ويدرك المغزى ليتسنى له الرد ويتاح أمامه الجواب ولهذا قالت العرب "حسن الكلام من حسن الاستماع"

وأما أن تكون البلاغة في الاحتجاج،فهذا أمر ليس بالمتاح أمام الجميع إذ لا يقدر عليه إلا من أوتي من علم المناظرة وسوق الكلام باعا يمكنه من الرد والجواب في المقام الذي يتطلبه ذلك الأمر

وأما أن تكون البلاغة جوابا،فهذا يعني اختيار الجواب المناسب في اللحظة المناسبة، ومن هنا كان جواب الحكيم أحد فصول البلاغة العربية[21]

وأما أن تكون البلاغة شعرا أو خطبا أو رسائل،فهذه صنوف في الكلام اعتادت العرب أن يبلغ بها عن أغراضها،و لكل صنف منها مقام خاص يتطلبه .

وأما قول ابن المقفع:" فعامة ما يكون من هذه الأبواب الوحي فيها والإشارة إلى المعنى والإيجاز هو البلاغة" فيشير إلى ميزان البلاغة عنده وهو أمران:

الأول هو الإشارة إلى المعنى .

والثاني الإيجاز بالقدر الذي يحتاجه ذلك المعنى.

وإذا تحقق هذان الأمران كان الإنسان وفق هذا التعريف بليغا.

ومن خلال تعريف ابن المقفع نستنتج أنه قد ركز على جانبين:الأول عقلي يتمظهر في السكوت والاستماع والإشارة، والآخر إجرائي مرتبط بالآداء الكلامي، يتمظهر في الاحتجاج والجواب والخطب والشعر.

وورد تعريف البلاغة في المعجم الوسيط الصادر عن مجمع اللغة العربية ما مفاده"البلاغة حسن البيان وقوة التأثير[22]

أما الرماني فيعرف البلاغة بقوله:إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ23

إن الرماني يضع لميزان البلاغة أمرين:الأول وصول المعنى إلى المخاطب(المتلقي)

والثاني أن يختار له اللفظ الأنسب والأحسن.

ويعد تعريف الخطيب القزويني من أهم التعريفات التي تقف ندا للند،معا ما تطرحة التداولية،بل قد تجاوزها في كثير من الأشياء فيقول: مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته[24]

يحتوي كلام القزويني على ثلاث عتبات لغوية يجب الوقوف عندها وتحليلها، وهذه العتبات هي :الكلام،الحال،والفصاحة .

فالكلام يقتضي متكلما ومستمعا ،أو متكلما ومخاطبا أو بعبارة أخرى باثا ومتلقيا.

الحال وهو قسمان:إما لغوي؛ فمقام التنكير ليس مقام التعريف مثلا.

أو مقامي؛ إذ مقام الحزن ليس كمقام الفرح.

أما الفصاحة : وهي ما لم تدرجه التداولية في الحسبان فهي ترتبط بأمرين:

أولا بالمتكلم وبطريقة آدائه.

الثاني بالكلام وطريقة بنائه.

ويمكن تفصيل هذا التعريف بالمخطط التالي:

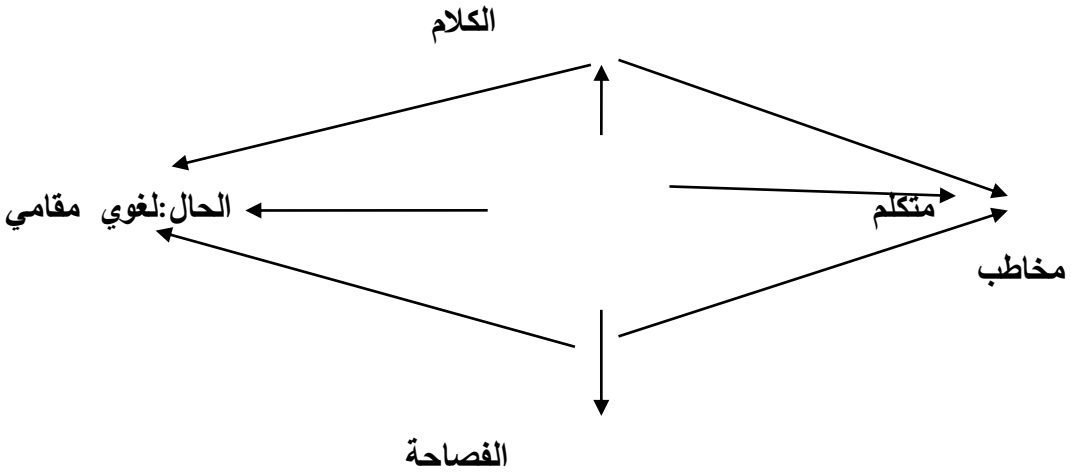

وحتى لا نغوص كثيرا–كون المقام لا يكفي –فإننا سنكتفي بالتعليق على بعض ما طرحه أوستن من خلال أطروحة الفعل اللغوي وما تبناه بعده سورل .

المحور الثاني:آليات التداولية بين اوستن وغرايس

لقدتميز فكر أوستن بثلاث مراحل:

أ–المرحلة الأولى:حيث بنى أوستن فلسفته اللغوية على دعامتين:

الأولى:انتقاده لفلاسفة اللغة الوضعيين الذين ضيقوا مجال دراسة اللغة في حصرها في مجال الوصف[25]؛إذ الدراسة اللغوية تنحصر عندهم في الجمل الوصفية التي تخضع لمعيار الصدق والكذب انطلاقا من مخالفتها للواقع أو مطابقتها له،أما غيرها من الجمل غير الوصفية(الإنشائية)فقد استبعدت من الدراسة لأنها لا تطابق واقعا أو تخالفه

وبدلا من هذا فقد ميز أوستن بين صنفين من الجمل [26].

1–الجمل الوصفية constativeالتي تخضع لمعيار الصدق والكذب

2–الجمل الإنجازية performativeهي التي لا تخضع لمعيار الصدق والكذب وتشكل فعلا لغويا،ومثاله:أعلن رسميا عن افتتاح الجلسة؛ فهذه الجملة لا تصف واقعا ولا يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب،كما تحتوي على معين يتحقق مباشرة بعد الانتهاء من تلفظها

ولهذا فمكمن الفرق بينهما في أمرين:الأول:أن الجمل الوصفية تصف حدثا دون فعل،أما الجمل الإنجازية فتنجز قولا وفعلا في الوقت نفسه.

الثاني:أن الجمل الوصفية تخضع لمعيار الصدق والكذب،أما الجمل الإنجازية فتخضع لمعيار النجاح والفشل والمربوطين بمدى موافقة شروط إنجازها

ففي المثال السابق :ينبغي حتى يتحقق فعل الافتتاح أن يكون المعلن عن افتتاح الجلسة رئيسا أو من ينوب عنه

ونظرا لأن فشل ونجاح الجمل الإنجازية مربوط بشروط إنجازها ،فقد حاول أوستن أن يصوغ جملة من المعايير والتي يمكن تصنيفها قسمين:

أ-المعايير المقامية:وهي بدورها مقسمة على ثلاث فئات حيث يؤدي إخلال الفئة الأولى أو الثانية إلى عدم نجاح الفعل،أما مخالفة الفئة الثالثة فيؤدي إلى إنجازه ولكن بطريقة سيئة ويمكن تفصيل ذلك كالآتي:

الفئة الأولى:وفيها شرطان:1-أن يكون هناك اتفاق عرفي أومؤسساتي أثناءعملية التبليغ

2-أن يتم تطبيق هذا الاتفاق بواسطة أشخاص مناسبين

وإذا رجعنا إلى مثالنا؛فإننا نجد أن افتتاح الجلسة حيى يتحقق له أمران:

الأول:هناك عرف مؤسساتي على أن بداية أي أشغال جلسة ينبغي أن يعلن عن افتتاحها

الثاني:أن يكون الافتتاح من قبل المسؤول الأول أو من يخوله للإنابة عنه في ذلك

الفئة الثانية:وفيها شرطان:1-أن يقوم كل طرف في العملية التبليغية بدوره بشكل صحيح

2-أن يضل الموقف ثابتا غلى نهاية إنجاز الفعل

وإذا أسقطنا هذين الشرطين على المثال السابق فإننا نجد:

أ- أن يقوم الحاضرون بالقيام بجلساتهم

ب-أن يبقوا حتى نهاية الأشغال

الفئة الثالثة:وفيها شرط واحد:وهو افتراض وجود نية مسبقة لدى منفذ الفعل اللغوي ليؤدي فعله بصورة مرضية

المعايير اللغوية:وهي تختص بأمور شكلية في ذات اللغة ومنها

1-ضرورة انتماء فعل الجملة الإنجازية إلى فئة الأفعال الإنجازية مثل:وعد ،سال ،أمر

2-أن يكون فاعل فعل الإنجاز المتكلم ذاته.

3-أن يكون مبنيا للمعلوم

4-أن يكون متصرفا في الحاضر

وإذا اختل احد هذه الشروط تتحول الجملة الإنجازية إلى جملة وصفية

ففي المثال السابق لو قلنا أعلن عن افتتاح الجلسة بصيغة المجهول لم يكن هنا إنجاز المرحلة الثانية:

تبدأ هذه المرحلة بمجموعة من التساؤلات طرحها اوستن حول مجمل المعايير التي اتخذها في مدى كفايتها في التفريق بين الفعل الإنجازي والفعل الوصفي؛بعبارة أخرى تساءل عن مدى إمكانية إخضاع الجمل الوصفية لمعايير النجاح والإخفاق،ومدى إمكانية إخضاع الجمل الإنجازية لمعايير الصدق والكذب

مثال ذلك:لو حذر الطالب "أ " الطالب " ب "بأن الطالب "ج " سيسرق هاتفه النقال مثلا ثم يتبين أنها إشاعة،فهنا يكون التحذير خاضعا لمعيار الصدق والكذب

وبعد تمحيص اوستن للعديد من الجمل توصل إلى أن معايير النجاح والإخفاق مرتبطة بالصدق والكذب،والعكس صحيح،وهذا ما جر عليه تبني الطرح الذي لا يفصل بين ما هو وصفي وما هو إنجازي؛ فكل الجمل اللغوية قول وفعل في الوقت ذاته

كما قام أوستن بتمحيص المعايير المقالية ووجد عدم كفايتها أيضا.فيمكن مثلا استبدال احد أفعال الإنجاز بآخر ومثاله

أعدك بأنني سأزورك غدا

سأزورك غدا

فكلاهما إنجازيتان رغم أن الثانية لم تحتو على فعل الإنجاز"وعد".

ومن هنا؛ فإن الأساس في تحديد القوة الإنجازية هو السياق بصورة عامة سواء أكان مقاميا أومقاليا ومثاله ما يلي:الجو ممطر،فسياق هذه الجملة هو الذي يحدد قوتها الإنجازية ،فإذا كانت هذه الجملة موجهة من الأم لأبنائها فيعني عدم الخروج من البيت.،أما إذا كانت إلى الزوج الذاهب للعمل فتعني ضرورة أخذ المطارية.وغيرهامن التأويلات المقامية

ومن هنا فقد صهر أوستن مفهوم الوصف والإنجاز في مفهوم واحد سماه الفعل اللغوي،وهو الذي سيشكل المرحلة الثالثةمن تفكيره

المرحلة الثالثة:

تسمى هذه المرحلة بمرحلة "الفعل اللغوي" ومفاده"حين أتلفظ أو أقول كلاما ما،فأنا أحقق أو أنجز حقيقة فعلا ما"[27]

وعليه فإن أي متلفظ لجملة يقوم بإنجاز ثلاثة أنواع من الأفعال اللغوية

1-فعل القول act locutoire وهو التلفظ بجملة دالة على فعل لغوي، أو بعبارة أخرى، هو"عملية قول شيء ما"[28]ويكون على ثلاثة مستويات:

أ-مستوى الفعل الصوتي acte phonitiqueويشمل مجموع الأصوات المتلفظ بها.

ب–مستوى الفعل التركيبي acte phatique وهو بناء الجملة وتركيبها انطلاقا من قواعد اللغة التي تنتمي إليها.

ج–مستوى الفعل الدلاليacte rhetiqueويعني أن تحيل تلك الجمل إلى معان مرتبطة بالمتكلمين

2–فعل الإنجاز acte illocutoire وهو كما عرفه "أوستين" الفعل الخاص والمحدد (L'acte spécifique)الذي يقصد المتكلم إلى تحقيقيه أو إنجازه من وراء إنتاجه ملفوظا معينا داخل مقام تخاطبي محدد[29]، ويمكن أن نصطلح عليه في موضوع التواصل بـ "الرسالة."

وهو مرتبط بالسياق وقصد المتخاطبين من مقول الجملة.

ومن هنا؛فإن لكل فعل لغوي قوة إنجازية تحدد غرض المتكلم ،ولا يمكن استخلاصها إلا انطلاقا من السياق الذي ترد فيه

3–فعل التأثيرacte perlocutoire والمقصود به رد فعل المخاطب على فعل القول؛إذ أصل فعل القول أن يحدث أثرا في المتلقي كالفرح أو الحزن أو غيرها من الأغراض إذ "لكل فعل تواصلي (acte de communication) نتائج معينة، كأن نتعلم كيفية التحليل أو التأويل، أو التركيب هذا من جهة، ومن جهة ثانية فمن الممكن اكتساب عادات أو معتقدات جديدة، أو تغير تلك التي كنا نمتلكها من قبل، ومن جهة ثالثة، يمكن اكتساب حركات جديدة"[30] ويكون الفعل التأثيري نتيجة مقصودة ومتوقعة من قبل المتكلم، وفي هذا الصدد يقول "أوستين" :" إننا يمكن أن نتكلم بهدف إثارة ردود الفعل.... وسأسمي مثل هذا الفعل بالفعل التأثيري".[31]

وإذا حاولنا أن نطبق أسس المرحلة الثانية على هذا المثال: المتنبي هو أشعر العرب

فإننا نجد ما يلي:

أ–بالنسبة لفعل القول:المتنبي هو أشعر العرب،يتكون مما يلي:

الفعل الصوتي:ويتمثل في مجموع الأصوات مفردة ومركبة التي يثيرها لسان المتكلم

الفعل التركيبي ويتمثل في بناء وهيكل الملفوظ ككل :اسم وضمير ثم صيغة مبالغة ثم اسم،وقد تم تركيبها وفق أسس وقواعد اللغة العربية

الفعل الدلالي:وهو إعلام المخاطب كون المتنبي أشعر العرب

ب–بالنسبةلفعل الإنجاز وهو مرتبط بالسياق ،فيكون خبرا عاديا لمخاطب يجهل أشعر العرب،ثم يكون قلبا إذا كان المخاطب يعتقد أن أشعر العرب غير المتنبي،وقد يكون تعيينا إذا اعتقد المخاطب الشراكة بين المتنبي وغيره في أشعر العرب

ج–بالنسبة لفعل التأثير:فإن هذا الملفوظ سيحدث أثرا على المخاطب وذلك بتوجيهه لأشعر العرب وهو المتنبي ،فيذهب ويتقصى أخباره ويتتبع أشعاره إذا أراد تقليده.

ومثاله أيضا:إني مشغول،فقد يقصد بها إنجاز فعل الإخبار عن الشغل فيكون بذلك فعل إنجاز،وقد يقصد بها حث المستمع عن البحث عن شخص آخر فتكون فعل تأثير.

وبعد دراسته للأفعال الغوية ،قام أوستن بتصنيفها في خمسة فصائل وهي[32]

أ–الحكميات les verdictifsوهي التي تدل على الحكم مثل:حكم،قيم ،برأ

ب–المراسياتles exercitifs وهي التي تدل على الممارسة مثل نصح أعلن

ج–الوعديات:lescommissifsوهي التي تدل على العهد

د–السلوكيات les conductifsوهي ما يعبر به المخاطبون عن مواقفهم تجاه سلوكات الآخرين كالشكر والتعزية والاعتذار وغيرها

هـ–العرضيات lesexpositifsوهي ما يستعمل في عرض الأفكار وتقديم الحجج والبراهين أثناء الحديث مثل:أثبت،استنبط،أنكر وغيرها

مرحلة الفعل غير المباشر[33]

إن أهم شيء قدمه غرايس في تصوره للفعل اللغوي هو أنه في بعض الأحيان لا تدل الجمل على المحتوى الذي يحمله محتواها القضوي ؛بعبارةأخرى،يمكن إنجاز فعلين لغويين :أحدهما مباشر والآخر غير مباشر.فمثلا : إذا قال الأستاذ لطالب لم يحضر واجبه"بارك الله فيك"فيمكن فهم هذا الملفوظ خاليا من السياق الوارد فيه بواسطة العلامات اللغوية :الفعل بارك،وفاعله لفظ الجلالة وحرف الجر الموصول بكاف الخطاب على أساس انه دعاء له،غير أن حقيقة الأمر العكس،فهو يريد التوبيخ والتهديد وكل ما يحمل صيغة اللوم والعتاب.

غير أن فهم هذا السياق سيستلزم السياق الذي دار فيه الحوار،ولهذا أطلق غرايس على هذا المفهوم"الاستلزام الحواري" مميزا بين القوة الإنجازية الحرفية والقوة الإنجازية المستلزمة،الأول يستخلص من الجوانب الشكلية للغة ،أما الثانية فتدرج المقام

لقد حاول غرايس أن يؤسس للضوابط التي تحكم الحوار اللغوي والآليات التي يتم بها الانتقال من الفعل اللغوي المباشر إلى الفعل اللغوي غير المباشر،ولذلك وضع أربع قواعد أساسية تقع تحت مظلة مبدأ عام سماه "مبدأ التعاون" والذي مفاده"اجعل تدخلك مطابقا لما يقتضيه الغرض من الحوار الذي تساهم فيه،في المرحلة التي تتدخل فيها"وأما القواعد التي تتدرج ضمنه فهي:

1-قاعدة الكم:ويقصد بها الكم المعلوماتي المطلوب لإنجاح الفعل اللغوي ،وينقسم بدوره قسمين:

أ-أن تتحقق الإفادة المطلوبة

ب-بأن لا يتجاوز تلك الإفادة

2-قاعدة الكيف:ويتعلق بالصدق في العملية الحوارية وهي فرعان:

-لا تقل ما يخالف اعتقادك

-لا تقل مالا تستطيع إثباته

3-قاعدة الورود:ويعني عدم الخروج عن الموضوع والتقيد بموضوع الحوار

4-قاعدة الكيفية :وهي شروط اجتماعية وأخلاقية واجتماعية ومنها

أ-الوضوح وتجنب اللبس والغموض

ب-التركيز

ج-أن يكون منظما

د-أن يكون مؤدبا

وعلى ها الأساس فإن التزام جملة ما لمعنى مغاير لمعناها الحرفي لا يتم إلا بإرضاء الشروط التالية

-احترام مبدأ التعاون بين المتخاطبين والقواعد المنبثقة عنه

-فرضية إدراك الشخص المخاطب المعنى المستلزم

-قدرة المخاطب على الإدراك والاستنتاج

-مراعاة المقام سواء أكان لغويا أم غير لغوي

-الأخذ في الاعتبار الخلفية المعرفية للمتخاطبين

-مراعاة المعنى العرفي

وانطلاقا من هذا فإن المعاني تنقسم قسمين

أ-المعاني الصريحة وتشمل:

-محتوى القضية ويشمل معاني الوحدات اللغويةفي الملفوظ مضمومة إلى بعضها

-القوة الإنجازية الحرفية :وتشمل مختلف المؤشرات

ب-المعاني الضمنية وهي قسمان

-معان عرفية:وهي المعاني المرتبطة بالجملة ارتباطا يجعلها لا تتغير مهما تغير سياقها

-معان حوارية أو سياقية :وهي التي تتولد أثناء العملية الحوارية وهي إما:ناتجة عن سياق خاص لطبقة مفاهيمية معينة وهذا ما سماه الاستلزام الحواري الخاص

أو معان عامة حيث لم تعد مرتبطة بسياق معين ،وهذا ما سماه غرايس الاستلزام الحواري المعمم

المحور الثالث: تأصيل بعض مباحث التداولية في الدرس البلاغي عند العرب.

سنأصل بعض مباحث التداولية وذلك بمقارنتها بما طرحته البلاغة العربية:

ففيما يتعلق بتقسيم الأفعال إلى وصفية وإنجازية،وكون الأولى تخضع لمعيار الصدق والكذب والثانية إنشائية لا تخضع لهما،ثم تدارك الأمر باعتبار أن بعض الأفعال الوصفية إنجازية،بعبارة أخرى،أنها لا تحتمل الصدق والكذب،فإننا في هذا المقام يمكن أن نقدم ما طرحته البلاغة العربية في حديثها عن الخبر والإنشاء

يرى سيبويه والفراء أن الخبر مقابل للاستفهام [34]،أما المبرد فيرى أن :الخبر ما جاز على قائله التصديق والتكذيب[35]

أما ابن فارس فيقول:أما اهل اللغة فلا يقولون في الخبر أكثر من أنه إعلام، تقول :أخبرته أخبره،والخبر هو العلم.وأهل النظر يقولون:الخبر ما جاز تصديق قائله أو تكذيبه، وهو إفادة المخاطب أمرا في ماض من

زمن أو مستقبل أو دائم[36]

كما أن الأصل في الخبر أن يلقي لأحد غرضين:

أ- إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة

مثل: انتصر المسلمون في غزوة بدر.

ب- إفادة المخاطب أن المتكلم عالم بالحكم

مثل:"أنت تسهر كل يوم".

كما قد يخرج الخبر عن الوصفية فيكون إنجازيا ،وهو ما عبرت عنه البلاغة العربية بالأغراض البلاغية،ومنها **مثلا:**

– الاسترحام والاستعطاف ، مثل :

قول إبراهيم المهدي : أتيت جرماً شنيعاً وأنت للعفو أهلٌ

فإن عفوت فأهلٌ وإن قتلت فعدلٌ

فالشاعر لا يهدف من الخبر في البيتين السابقين ليس إفادتنا بارتكابه الذنوب ، بل الغرض البلاغي من الخبر هو الاسترحام والاستعطاف ؛ لعلّ ذنوبه وأخطاءه تُغفر.أو بعبارة هو طلب للمغفرة

–إظهار الضعف: كقوله تعالى على لسان سيدنا زكرياء عليه السلام ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا[37]﴾

–إظهار التحسر: كقوله تعالى على لسان سيدنا نوح عليه السلام ﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ[38]﴾

–الفخر: كقول الشاعر:

إذا بلغ الفطام لنا صبي تخر له الجبابر ساجدينا

–الحث على السعي والجد: كقول الشاعر:

وليس أخو الحاجات من بات نائما ولكن أخوها من يبيت على وجل

وقول شوقي :

وما نيـل المطالب بالتمني ولكن تؤخذ الدنيـا غلابا

وما استعصى على قومٍ منال إذا الإقدام كانت لهم ركابا

فالغرض من الخبر في البيتين السابقين ليس الإخبار بشيء مجهول لنا ، بل الغرض البلاغي من الخبر هو تحريك الهمّة ، والحث على السعي والجد والاجتهاد ؛ للوصول إلى ما يصبو إليه شعبه.

كما أن للصيغ التركيبية أبعادا تداولية تفرض على السامع أن يفهمها وفق متطلبات ذلك التركيب ومنها

أ–التقديم والتأخير: **وقد** تكلم عبد القاهر الجرجاني عن التقديم والأخير وفصل فيهما تفصيلا يشفي الغليل ويبرئ العليل، ومن المواطن التي فصلها ما يلي:

–**الاستفهام بالهمزة:** يرى أن المسئول عنه مقدم لا محالة سواء كان اسما أم فعلا[39]

فإذا بدأت بالفعل كان الشك فيه مثل: أقلت .وإذا بدأت بالاسم كان الشك في الفاعل، مثل: أأنت قلت هذا، ففي هذه الحالة،أنت لا تشك في الفعل إطلاقا ،وإنما في فاعله، ولهذا تشير إلى الفعل بقولك هذا،وعليه لا يمكن أن يقال: أأنت قلت الشعر الذي كان في نفسك أن تقوله،كما لا يمكن أن يقال: أأنت قلت شعرا قط،وأأنت رأيت إنسانا.

وإذ تبين الفرق بينهما ،لزم هذا الفرق ما كان للتقرير"فإذا قلت: أأنت فعلت ذلك ،كان غرضك أن تقرره بأنه الفاعل"[40]وهذا الأمر هو ما تبناه قبله المبرد[41] والآمدي[42]

ومثاله قوله تعالى" قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ [43]" فهم لم يشكوا في كسر الأصنام وتحطيمها، وإنما في الفاعل الذي حطمها،وإلا لما كانوا أشاروا إليه بقولهم"هذا"،ولهذا كان جواب سيدنا إبراهيم" قَالَ بَلْ فَعَلَهُ

كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ[44] " ولو كان الفعل بالتقرير لكان الجواب:فعلت أو لم أفعل"[45]، وإذا قال:أفعلت ،فهو يقرره بالفعل من غير أن يردده بينه وبين غيره، وكان كلامه كلام من يوهم أنه لا يدري أن ذلك الفعل كان على الحقيقة،وإذا قال: أأنت فعلت ،كان قد ردد الفعل بينه وبين غيره،ولم يكن منه في نفس الفعل تردد"[46]

كما يكون الاستفهام بالهمزة لغرض الإنكار والتوبيخ وهو"أن يكون الإنكار أن يكون الفعل قد كان من أصله"[47] مثاله قوله تعالى" أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا "[48] فهذا إنكار في الفعل. وقولنا لشخص: أأنت قلت هذا الشعر،إنكار منا على أن يكون منه إنكار ولم ينكر الشعر.غير أن له صفة يكون الإنكار أشد وأقوى وهو "أن يراد إنكار الفعل من أصله، ثم يخرج اللفظ مخرجه إذا كان الإنكار في الفاعل"[49]مثال ذلك: ردك على رجل يدعي أن قولا صدر من أحد أنت تعلم أنه لا يمكن أن يقول"أهو قال ذلك بالحقيقة أم أنت تغلط" تضع الكلام وضعه إذا كنت علمت أن ذلك القول قد كان من قائل،لينصرف الإنكار إلى الفاعل،فيكون أشد لنفي ذلك وإبطاله،ومثال ذلك أن تقول لأحد: أمحمد أمرك بالفعل أم علي ،فأنت لا تريد إثبات الفعل لمحمد أو علي ،وإنما تريد أن تضيق عليه ليقر بفعله.

الاستفهام مع الفعل المضارع: المضارع يعني الحال أو الاستقبال،فإذا كان المقصود الحال"كان المعنى أن تقرره إما بالفعل، إذا بدأت بالفعل، وإما بكونه الفاعل إذا بدأت بالاسم،أما إذا كان المقصود بالمضارع الاستقبال كان المعنى منه الإنكار ،فإذا بدئ بالفعل أنكر الفعل ومثاله قول الشاعر:

أيقتلني والمشرقي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال

وإذا بدئ بالاسم كان الإنكار متعلقا بالفاعل الذي كان إنه يفعل إني أفعل وأنت أردت أن تقول له ليس مثله بفعل أو ليس هو الذي يفعل

وغرض الإنكار"ليتنبه السامع حتى يرجع إلى نفسه فيخجل ويرتدع وعي بالجواب إما لأنه قد ادعى القدرة على فعل لا يقدر عليه"[50]

ومثاله:قوله تعالى" أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ "[51] ليس إسماع الصم مما يدعيه أحد، فيكون ذلك للإنكار،وإنما المعنى فيه التمثيل والتشبيه،وأن ينزل الذي يظن بهم أنهم يسمعون،أو أنه يستطيع إسماعهم،منزلة من يرى أنه يسمع الصم ويهدي العمي"[52]

والأمر ذاته بالنسبة للمفعول به،فقولك: أزيدا تضرب ،إنكار منك بأن يكون زيد بمثابة من يضرب ،ومنه قوله تعالى:" قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا" .[53] فهو إنكار من أن يكون هناك ولي غير الله،وهو مالا يؤديه القول: "قل: أأتخذ وليا غير الله" وذلك"لأنه حصل بمعنى التقديم قولك،أيكون غير الله بمثابة أن يتخذ وليا؟ وأيرضى عاقل من نفسه أن يفعل ذلك ؟ وأيكون جهل أجهل وعمى أعمى من ذلك"[54]

وأما إذا كان "يفعل" لفعل موجود؛ فإن المعنى ينقسم بين الإقرار أو الإنكار ومثالة" أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ[55] "

-التقديم والتأخير مع النفي

يأخذ التقديم والتأخير مع النفي المعنى نفسه،فالذي يقدم؛ يكون أصل الكلام مبنيا عليه،فعندما تقول: ما فعلت، نفيت فعلا عن نفسك لم يثبت أنه مفعول، أما إن قلت: ما أنا فعلت، فقد نفيت عن نفسك فعلا ثبت أنه مفعول. وإذا استقام هذا المعنى؛ وجدنا أنه لا يمكن أن نقول: ما أنا قلت شعرا قط ،أو "ما أنا قلت هذا،ولا قاله أحد من الناس".غير أن سعد الدين التفتازاني أجازه" إذا قامت قرينة على أن التقديم لغرض آخر غير التخصيص،كما إذا ظن المخاطب بك ظنين فاسدين،أحدهما أنك قلت هذا القول،والثاني أنك تعتقد أن قائله غيرك،فيقول لك :أنت قلت لا غيرك، فتقول له: ما أنا قلته،ولا أحد غيري. قصد إلى إنكار نفس الفعل،فتقدم المسند إليه ليطابق كلامه...وهذا إنما يكون فيما يمكن إنكاره،كما في هذا المثال،بخلاف قولك :ما أنا بنيت هذه الدار ولا غيري فإنه لا يصح"[56]

ويكون الأمر نفسه مع المفعول به، فإذا قلت :ما ضربت زيدا ،نفيت أن يكون معك ضرب على الإطلاق، أما قولك: ما زيدا ضربت، فيعني أن وقع الضرب منك ثابت، غير أنه ليس على زيد، وإنما على شخص آخر،وإذا كان ذلك كذلك، لم يجز القول:"ما زيدا ضربت،ولكني أكرمته"

وما يجري على المفعول به، يجري على الجار والمجرور، فإذا قلت :ما أمرتك بهذا ،يعني أنه لم يكن من أمر، أما إن قلت: ما بهذا أمرتك ،ثبت أنك أمرته بشيء غير الذي قام به.

كما أن هناك العديد من مباحث البلاغة العربية التي لا يمكن فهمها إلا بالاعتماد على مقاصد المتكلمين،ومثال ذلك:الفروق في الخبر،الوصل والفصل،التورية وغيرها...وهو ما يؤهلها للوقوف بندية مطلقة في وجه كل ما تطرحه التداولية الحديثة

خاتمة:

من خلال كل ماتم طرحه يمكننا الخروج بالنتائج التالية:

إن المفاهيم التي يطرحها الدرس اللغوي الحديث عموما والتداولية خصوصا محاولة منه في فهم اللغة واستكناه تفاصيلها ليجد له الأثر المباشر في كل ما يطرحه الدرس البلاغي الحديث ، والاختلاف يكمن في أمرين:

1-اختلاف الآليات التي يعتمدها كل طرف؛فإذا حكم على البلاغة بالمعيارية،فإن هذا الانتقاد يمكن إسقاطه على ما أتى به السكاكي الذي أغلق بمفتاحه الفضاء الرحب للبلاغة وخندقها في زاوية الصواب والخطأ، أما البلاغة الحقيقية والتي أكمل بناءها عبد القاهر الجرجاني ،فإنها تتجاوز المفاهيم التداولية الحديثة،كونها امتدت إلى ما بعد مقاصد المتكلمين،وهي العتبة الأخيرة التي توقفت عندها التداولية.

2-يمكننا أن نقول إن الاختلاف الثاني شكلي،فهولا يتعدى مجرد التسميات،حيث إن ما تطرحه لفظا ليجد له المعنى المناسب في كل ما تتبناه البلاغة العربية،فمثلا:الاستلزام الحواري هو جزء من المقام ،ومبدأ التعاون ومقصد المتكلم كلاهما يدخل في الأغراض البلاغية،وهم ما تم التعمق فيه إلى أبعد حد.

والنتيجة الأخيرة هي أن الدرس اللغوي الحديث وفي مرحلته الثالثة-مرحلة التداوليات-قد وصل إلى بداية الطريق التي سلكتها البلاغة العربية،ولهذا فعلينا الإقرار أن مشواره طويل،والوصول إلى ما وصلت إليه البلاغة العربية ليس بالأمر اليسير.

الهوامش:

1 ابن فارس،معجم مقاييس اللغة،تح:عبد السلام هارون،دار الجيل،ط1991،2،ج2 ص314
الزمخشري،أساس البلاغة،تح:محمد باسل عيون السود،دار الكتب العلمية،1988،ج1 ص 3032
ابن منظور،لسان العرب،دار صادر بيروت،مج11،ط3، 1994،ص 2533،251
سورة آل عمران 1404
الزمخشري،الكشاف،دار المعرفة للطباعة ،بيروت،ج2 ص 4355
خليفة بوجادي،في اللسانيات التداولية،بيت الحكمة،العلمة،الجزائر ط1، 2009 ص 1486
7 ينظر: أوكسفةرد
دنجا طوبيا كوركيس ،البراغماتية الفائدتية،جامعة جدار للدراسات العليا،الأردن ص 58، 598
طه عبد الرحمان،في أصول الحوار وتجديد علم الكلام،المركز الثقافي العربي، ،المغرب ط2000،2 ص 279
محمح محمد يونس علي،مدخل إلى اللسانيات ،دار الكتاب الجديد،بيروت،لبنان ط1، 2004، ص 10210
شاهر الحسن،علم الدلالة السمانتيكية والبراغماتية في اللغة العربية،دار الفكر للطباعة والنشر،عمان ط2001،1 ص 15711
فرنسواز أرمينكو،المقاربة التداولية،تر:سعيد علوش،مركز الإنماء القومي،1986 ص 812
امبرتو إيكو، السيميائية وفلسفة اللغة،تر:أحمد الصمعي،المنظمة العربية للترجمة ص 45513
فان ديك،النص والسياق،تر:عبد القادر قنيني،افريقيا الشرق،بيروت، ط2000،1 ص 27314
جورج بول،التداولية،تر:قص العتابي،الدار العربية للعلوم،لبنان،ط1(1431،2010) ص 1915
فرنسواز أرمينكو،المقاربة التداولية،ص 0716
مسعود صحراوي ،التداولية عند العلماء العرب،دار الطليعة للطباعة والنشر،بيروت ط1، 2005 ص 2917
18 فرنسواز أرمينكو،المقاربة التداوليةص 12
19 الجاحظ ، البيان والتبيين ،مكتبة الخانجي،القاهرة،ط7(1418هـ،1998م) ج 1ص114
20الجاحظ ، البيان والتبيين ج1 ص115،116
المقصود بجواب الحكيم.هو إجابة السائل بأكثر مما يسأل عنه لأن حاجته لا تتم إلا من خلال هذه الزيادة.21
22شوقي ضيف وآخرون،المعجم الوسيط ،مكتبةالشروق الدولية،ط4(1425هـ، 2004م) ، ص70
23 الرماني،النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل ص75،76
24 القزويني :الخطيب ، الإيضاح ، دار الكتب العلمية،بيروت، لبنان ط1(1424،2003) ص20
25 ينظر: صلاح اسماعيل، :يلحتلال إ ةسردم دنع يوغللا دروفسك،ريونتلا راد ،توريب 1ط 1993
26 J.L. Austin, quand dire c'est faire, traduction et introduction de Gilles lane, (1970) Edition du seuil, Paris p54

27 J.L. Austin, quand dire c'est faire p68

28 Ibid. p109

29 Ibid. p113

30 Devito Joseph.A,1938, les fondaments de communication humaine,P 11.

31 J.L. Austin, quand dire c'est faire p114

32 Ibid. p89

33 Paul Grice (1979), Logique et conversation, communication (1979)p103

34 انظر :سيبويه،الكتاب، تح:عبد السلام محمد هارون،مكتبة الخانجي،القاهرة ط3(1408ه، 1988م) ج1ص119.الفراء،معاني القرآن ، عالم الكتب،بيروت،ط3 (1983.1403) .ج1 ص335

35 المبرد،المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عظيمة،القاهرة،(1994 ،1415) ج3ص89

36 ابن فارس ،الصاحبي في فقه اللغة العربية،تحقيق أحمد حسن بسج،دار الكتب العلمية،بيروت، ط1،(1997،1418).ا ص179

37 مريم4

38 الشعراء117

39 عبد القادر حسين ،أثر النحاة في البحث البلاغي، دار غريب،القاهرة،1998ص85

40عبد القاهرالجرجاني،دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، ، مطبعة المدني ،مصر،ط3(1413،1992) ص113

41ينظر :المبرد:أبو العباس محمد بي يزيد، الكامل ،تح:محمد أحمد الدالي،مؤسسة الرسالة،ط2(1412،1992) ، ج1ص277

42ينظر :الآمدي،الموازنة ، تحقيق :السيد أحمد صقر،دار المعارف،القاهرة،ط4، 2009. ص191 .190.189

43الأنبياء63

44الأنبياء63

45 عبد القاهرالجرجاني،دلائل الإعجاز 113

46 نفسه ص114

47 ن م ، ن ص

48 الإسراء40

49 عبد القاهرالجرجاني،دلائل الإعجاز 115

50 نفسه ص 119

الزخرف4051

52 عبد القاهرالجرجاني،دلائل الإعجاز 120

53 الأنعام 14

54 عبد القاهرالجرجاني،دلائل الإعجاز 122

55 يونس99

56 التفتازاني:سعد الدين بن عمر، المطول ،تح عبد الحميد هنداوي،دار الكتب العلمية، مصر، 2007ص 19